مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(رومية ٢: ١٠-١٦)

يا إخوةُ المجدُ والكرامةُ والسلامُ لكلِّ مَن يفعلُ الخيرَ من اليهودِ أولاً ثمَّ من اليونانيين* لأنَّ ليس عند اللهِ محاباةٌ للوجوه* فكلُّ الذين أخطأوا بدون الناموسِ فبدونِ الناموسِ يهلِكون. وكلُّ الذين أخطأوا في الناموسِ فبالناموسِ يُدانون* لأنَّه ليس السامِعونَ للناموسِ هم أبراراً عند الله بل العامِلونَ بالناموسِ هم يُبرَّرون* فإنَّ الأممَ الذينَ ليس عندهم الناموسُ إذا عمِلوا بالطبيعةِ بما هو في الناموس فهؤلاءِ وإن لم يكن عندهم الناموسُ فهم ناموسٌ لأنفسهم* الذين يُظهِرونَ عمل الناموس مكتوباً في قلوبِهم وضميرُهم شاهدٌ وأفكارُهم تشكو أو تحتجُّ فيما بينها* يوم يدينُ اللهُ سرائرَ الناسِ بحسبِ إنجيلي بيسوع المسيح.

فعل الخير

بعد أحد العنصرة الذي تعيّد فيه الكنيسة لحلول الروح القدس على التلاميذ ودعوتهم إلى نشر البشارة بين البشر، لكي يصلوا إلى الرب يسوع فيتقدّسوا، دعتنا الكنيسة المقدسة إلى حياة القداسة في الأحد السابق، الذي هو أحد جميع القديسين: «كونوا قديسين لأنّي أنا قدّوس» (١ بط ١: ١٦). والآن تشدّد الكنيسة في هذا الأحد على أنّ حياة القداسة هي حياة فاعلة، أي أنّ الإنسان الذي صار مسيحيًّا مدعو إلى تطبيق وصايا الرب وعمل الخير، لأنّه سيُدان على هذا الأساس.

يرتبط فصل الرسالة الذي يُقرأ على مسامعنا اليوم (٢: ١٠-١٧) بكامل الفصل الثاني من رسالة الرسول بولس إلى أهل رومية، والذي يشكّل موضوعُ الدينونة فيه الموضوعَ الأساسي. وبما أنّ الدينونة تشمل الجميع، المؤمنين وغير المؤمنين، يحاول الرسول بولس وضع القاعدة الأساسية المشتركة التي سيدين الله الشعوب على أساسها، ألا وهي إنجيله بيسوع المسيح، أي البشرى بالخلاص لجميع الناس: «يوم يدينُ اللهُ سرائرَ الناسِ بحسب إنجيلي بيسوعَ المسيح» (رو ٢: ١٦).

يبدأ فصل الرسالة بذكر النتيجة التي ينالها كلّ مَن يفعل الخير أو الصلاح: «المجد والكرامة والسلام لكلِّ مَن يفعلُ الخيرَ من اليهودِ أولاً ثمَّ من اليونانيين» (٢: ١٠). وتشكّل هذه الآية تتمّة للآية ٩ من الإصحاح نفسه: «شِدَّةٌ وضِيقٌ على كلِّ نَفْسِ إنسانٍ يفعلُ الشرَّ اليهودي أولاً ثمَّ اليونانيِّ». وهاتان الآيتان تشكّلان ملخّصاً عن الموضوع المطروح في هذا الإصحاح، ألا وهو الدينونة. فالله سيجازي كلّ واحدٍ حسب أعماله (الآية ٦). ليس للإنسان أن يدين أحداً، فالدينونة هي لله فقط، ومعيار هذه الدينونة هو فعل الخير أو فعل الشر. وهذا المعيار هو شاملٌ، أي إنّه يشمل كل البشر، بغضّ النظر عن إيمانهم بالله وبابنه يسوع المسيح.

مَن يؤمن بالله عليه أن يسير وفق وصاياه الواصلة إليه في كتابه

العدد ٢٠٠٩/٢٥

الأحد ٢١ حزيران

تذكار القديس الشهيد يوليانوس الطرسوسي

اللحن الأول

إنجيل السَحَر الثاني

الإنجيل

(متى ٤: ١٨–٢٣)

في ذلك الزمان فيما كان يسوعُ ماشياً على شاطئِ بحرِ الجليل رأى أخَوَين وهما سمعانُ المدعوُّ بطرسُ وأندراوسُ أخوهُ يُلقيانِ شبكةً في البحر (لأنَّهما كانا صيَّادَيْن)* فقال لهما هلمَّ وراءي فأجعلَكما صيَّادَي الناس* فللوقتِ تركا الشباكَ وتبعاهُ* وجاز من هناك فرأى أَخَوَينِ آخرَينِ وهما يعقوبُ بنُ زبَدى ويوحنَّا أخوهُ في سفينةٍ معَ أبيهما زبدى يُصلِحانِ شباكَهما فدعاهما* وللوقتِ تركا السفينةَ وأباهُما وتبعاهُ* وكان يسوعُ يطوفُ الجليلَ كلَّهُ يعلّمُ في مجامعهم ويكرزُ ببشارةِ الملكوتِ ويَشفي كلَّ مرضٍ وكلَّ ضُعفٍ في الشعب.

تأمل

«للوقت تركا السفينة وأباهما وتبعاه».

هل تصبو إلى الشرف؟ فلتطلب الشرف الحقيقي؛ فأيّ شرفٍ هو هذا الذي يتحوّل غالباً إلى عار؟ وأيّ شرفٍ هو هذا الذي يُفقَد المقدّس، ويُحاكَم على أساسها. ولكن كيف يمكن لإنسان لا يؤمن بالله أن يحاكَم عن عمل لا يعرف إن كان خيراً أم شرًّا؟ إنّ الرسول بولس يحلّ هذه المسألة بتأكيده أنّ ناموس الله، أي وصاياه، محفوظة في قلب الإنسان منذ ولادته: «فإنَّ الأممَ الذينَ ليس عندهم الناموسُ إذا عملوا بالطبيعةِ بما هو في الناموسِ فهؤلاءِ وإن لم يكن عندهم الناموسُ فهم ناموسٌ لأنفسهم، الذين يُظهرونَ عمل الناموسِ مكتوباً في قلوبهم وضميرُهم شاهدٌ وأفكارُهم تشكو أو تحتجُّ فيما بينها» (الآيتان ١٤–١٥). لقد خلق الله الإنسان على صورته ومثاله (تكوين ١: ٢٦)، وعلى هذه الطريقة زرع في قلبه معرفة وصاياه (الصورة) وأعطاه إمكانيّة الاتحاد به (المثال). وبسقوط الإنسان، أي بابتعاده عن الله كمصدر لحياته، كونه سعى أن يصل إلى الألوهة عن طريق مصدر آخر غير الله، خسر هذه الإمكانيّة، أي إمكانيّة الاتحاد بالله (المثال) (بتجسّد الرب يسوع استعاد الإنسان هذه الإمكانيّة بقبوله يسوع مخلّصاً)، وتشوّهت الصورة، أي صارت معرفة وصايا الله غير واضحة في عقل الإنسان، بل مقيّدة بأنانيّته، ولكنّها ظلّت محفورة في قلبه. وما يؤكّد لنا ذلك هو أنّ الشعوب قديماً اعتمدت في نظام حياتها وفي تشريعاتها على مبادئ عامّة، ظهر في المسيح يسوع أنّها مرتكزة على وصايا الله التي لم تفارق قلب الإنسان؛ فقد حرّم العديد من الشعوب القتل والسرقة مثلاً. كما أنّ الكثير من الناس يعملون ما نعتبره نحن خيراً وصلاحاً دون أن يعرفوا الله، إذ يجدون في داخلهم دافعاً لعمل الخير تجاه الناس الآخرين، دون أن يكون ذلك بالضرورة بهدف حبّ الظهور والأنانيّة.

هذا ما يُعرف بناموس الطبيعة، وقد قسّمه الفلاسفة الأخلاقيّون بحسب خصائصه إلى ثلاثة أقسام:

١– كلّ ما تريد أن يكون لك اصنعه مع الآخرين.

٢– كلّ ما تريد أن يفعله الآخرون بأنفسهم افعله أنت بنفسك.

٣– كلّ ما تريد أن يفعله الآخرون بك افعله أنت بهم.

الخاصّة الأولى هي خاصّة العادل، والثانية هي خاصّة الإكرام، والثالثة هي من باب الواجب. كلّ هذا ضمّنه الرب يسوع في قوله: «كُلُّ ما تريدونَ أن يفعلَ الناسُ بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم، لأنَّ هذا هو الناموسُ والأنبياءِ» (متى ٧: ١٢).

لذلك فإنّ الله سيدين الإنسان بحسب أعماله، بغضّ النظر عن إيمانه به أو عدمه، وليس من أفضليّة لإنسان على إنسان في هذا المجال «لأنَّ ليس عند اللهِ محاباةٌ للوجوه» (رو ٢: ١١). هذا يعني أيضاً أنّ لا أفضلية للمؤمن على غير المؤمن من حيث أنّ عنده وصايا الله، لأنّ العبرة هي في تطبيق الوصايا. فلا ينفعني أنا المسيحي أن أفتخر بأنّي أعرف الرب يسوع المسيح وعندي وصاياه وأعظمها المحبة، وأنا لا أطبّقها، لا بل أصنع العكس، مكرّراً خطيئة آدم بتحقيق كبريائي وأنانيّتي. لهذا تدعونا الكنيسة المقدّسة إلى تحقيق

بسرعة؟ وأيّ شرفٍ هو هذا الذي يُعطى من أناسٍ أموات؟ الشرف الحقيقي والمجد المستمر يأتيان من الله فقط. إن رغبتَ بكلّ نفسك في مجد الله، ستحتقر مجد الأرض لأنه تافه، لكن إن لم يجذبك المجد الإلهي، فلن تستطيع أبداً أن تفهم كم أنّ المجد الأرضي رخيص وخداع، أي ستعاني مثل الرجل الذي يعشق امرأةً سيئة إذ لا يستطيع أن يرى سوءها، لأنّ الهوى يُظلم ذهنه ويحرمه الحكم الصحيح.

أعطوني إذاً تحديداً للمجد، ما هو المجد؟ قد يقول أحد هو أن يُعجب بك الآخرون؛ وكيف سيعجبون؟ بحقّ أو عن غير حقّ؟ بغير حقّ؟ حينها لا يكون الإعجاب صحيحاً بل عن مداهنة وسخرية. بحق؟ هذا مستحيل لأنّ الناس لا يحكمون بموضوعية، فهم يتأثرون بأهوائهم ويُعجبون بكلّ مَن يخدمون رغباتهم. وإن شككتم، أنظروا أولئك الذين يبذّرون أموالهم قداستنا من خلال العمل بالوصايا الإلهيّة: «لأنَّه ليس السامِعونَ للناموسِ هم أبراراً عند الله بل العامِلون بالناموسِ هم يُبرَّرون» (الآية ١٣)، وذلك من خلال عمل الخير، حتى ننال المجد والكرامة والسلام: «لأنَّنا نحن عملُهُ مخلوقينَ في المسيحِ يسوعَ لأعمالٍ صالِحةٍ قد سبقَ اللهُ فأعدَّها لكي نسلُكَ فيها» (أفسس ٢: ١٠).

الثمن الباهظ

كلام النص الإنجيلي الذي يُتلى على مسامعنا اليوم يوضح ماذا يعني أن تكون تابعاً، مكرّساً، للرب يسوع وليس مجرّد مؤمن به. بطرس وإندراوس أخاه تركا الشباك وتبعاه، تركا مصدر معيشتهما وتبعاه. أما يعقوب ويوحنا ابنا زبدى فلم يتركا الشباك فقط بل وأباهما أيضاً. وهل أغلى من الأهل والأولاد على قلب الإنسان؟

قد يظن البعض ان كلام إنجيل اليوم موجَّه فقط إلى الذين كرَّسوا أو قرروا أن يكرّسوا أنفسهم للرب عبر خدمة الكنيسة، أي للإكليروس والرهبان والراهبات. وكأن وصايا الرب التي عندما نعمل بهديها نكون نتبع الرب، موجهة فقط لفئة معيَّنة من أبناء الكنيسة، ولم يتفوَّه بها الرب لتكون منارة هداية يعمل بوحيها كل مَن اعتمد باسم الثالوث وحلَّت عليه نعمة الروح القدس. نعم يفترض بالكاهن والراهب والراهبة أن يكونوا قدوةً ومثالاً ولكن هذا لا يعفي كل إنسان تكرَّس بنعمة الروح القدس في المعمودية، أي كل مؤمن بيسوع، من ضرورة ترك ما له علاقة بهذا العالم الساقط واتباع يسوع. إذاً كلام إنجيل اليوم يذكّر أولاً الإكليريكي، ثم كل علماني مؤمن، بوعده باتباع يسوع عندما تكرّس للرب بالسيامة أو بالمعمودية.

ماذا يعني اتباع يسوع؟ الجواب من إنجيل لوقا البشير: «وفيما هم سائِرونَ في الطريقِ قال له واحِدٌ يا سيِّدُ أتْبَعُكَ أينما تمضي. فقال له يسوعُ للثَّعالِبِ أَوْجِرَةٌ ولِطيورِ السماءِ أَوْكارٌ وأمَّا ابنُ الإنسانِ فليسَ لهُ أين يُسنِدُ رأسَهُ. وقال لآخَرَ اتبعني. فقال يا سيِّدُ ائْذَنْ لي أن أمضي أولاً وأدفِنَ أبي. فقال لهُ يسوعُ دَعِ الموتى يدفِنونَ موتاهُم وأمَّا أنت فاذهَبْ ونادِ بملكوتِ اللهِ. وقال آخَرُ أيضاً أتبَعُكَ يا سيِّدُ ولكن ائْذَنْ لي أولاً أن أُوَدِّعَ الذينَ في بيتي. فقال له يسوعُ ليس أحدٌ يضعُ يدَهُ على المِحراثِ وينظُرُ إلى الوراءِ يَصلُحُ لِملكوتِ اللهِ» (لو ٩: ٥٧–٦٢).

يقول الرب للأول: فكّر جيّداً في تحدّي الشعور بالإستقرار والأمان. أن تتبع يسوع يعني أن تترك خلفك كل البيوت وتسعى وراء مكانك في ملكوت أبيه. الرب يسوع هو معلّم ليس كسائر الربابنة والمعلمين الذين أسماؤهم مقرونة بالجامعات التي تعلَّموا فيها والمدن التي سكنوها. ليس صعباً على أحد أن يجدهم، فإن عناوينهم معروفة. لكن الأمر ليس كذلك مع يسوع وتلاميذه، فهم غرباء في أرض غريبة ليس لهم مكان يسندون إليه رؤوسهم. بعد عدن المفقودة، لا يوجد فردوس على الأرض، وإذا

ويغدقون بالهدايا على نسائهم الشهوانيات وسائقي العربات والراقصين.

كلّ مَن يسعى إلى المديح ليس إنساناً حراً، لأنه لا يعمل ما يريد هو بل ما يُعجب الآخرين. هكذا لا يتأخر السعي إلى إرضاء الناس عن إقصائه عن طريق الفضيلة.

بماذا سأنصحكم هنا؟ ماذا سوى أن يكون الله في ذهنكم دائماً، وأن تعملوا مشيئته وألا تعطوا معنىً للأشياء والآراء الإنسانية. إن سعيتم إلى إرضاء الناس ستفقدون الصلاة والصوم والرحمة وكلّ غِناكم الروحي. هل تريدون أن تحافظوا على هذه الخيرات التي لا تُقدَّر؟ أُبعدوا عن هوى الطموح إلى إرضاء الناس؛ أطلبوا دائماً رأي الله ومدحه ورضاه، فهكذا ستقطعون مسافة الحياة الأرضية بشكل مُرضٍ لله وستستحقّون التمتّع بالخيرات الآتية مع كلّ أصدقاء الرب.

القديس يوحنا الذهبي الفم

كان هذا ما تبحث وتبتغيه في حياتك على الأرض فأنت لا تصلح لرفقة السائح الأبدي ولا لخدمته.

أما للتلميذ الثاني الذي يريد أن يمضي ويدفن أباه أولاً فقال: «دع الموتى يدفنون موتاهم وأما أنت فاذهب ونادِ بملكوت الله». كان يُفرض على اليهود الأتقياء أن يقيموا عزاءً عند موت أحدهم لـ«تقديس» اسم الرب وقد تستمر المناحة والتقديس لعدَّة أشهر. الرب يسوع يقول لذاك التلميذ انه لا يوجد وقت للإنتظار، ولا يوجد وقت لإضاعته حتى في ما يُعتبر عادات أساسية في المجتمع. هناك ملكوت يجب التبشير به، ملكوت الله الآب السماوي. أن يتبع الإنسانُ المسيحَ ويخدمه يعني أن يحبّه حتى أكثر من أهله. ألم يقل لتلاميذه: «مَن أحبَّ أباً أو أماً أكثرَ مني فلا يستحقني. ومَن أحبَّ ابناً أو ابنةً أكثر مني فلا يستحقُّني... ومَن أضاعَ حياته من أجلي يجدُها» (متى ١٠: ٣٧ و٣٩). محبَّة يسوع تأتي أولاً ومنها نستقي، من نبع المحبة المتدفقة من على الصليب، ونتعلَّم أن نحب الآخرين وأوَّلهم آباءنا وأمهاتنا. نحب أهلنا وإخوتنا ليس لأن رباطاً بيولوجياً يجمعنا بهم، بل لأن رباطاً أسمى جمعنا وهو اخوّتنا للرب يسوع وبنوّتنا لله التي نلناها في المعمودية. إذاً نحن نحب يسوع من خلال محبَّة اخوتنا وأهلنا، وهؤلاء ليسوا محصورين بأقاربنا البيولوجيين «مَن يَقبَلُكم يقبَلني ومَن يَقبَلني يقبلُ الذي أرسلني... ومَن سقى أحد هؤلاء الصِّغارِ كأسَ ماءٍ باردٍ فقط باسم تلميذٍ فالحقَّ أقولُ لكم إنَّه لا يُضيعُ أَجْرَهُ» (متى ١٠: ٤٠ و٤٢)، و«بما أنَّكم فَعَلتُموهُ بأحدِ إخوتي هؤلاءِ الأصاغِرِ فبي فعلتُم» (متى ٢٥:٤٠).

ومن التلميذ الثالث يطلب الإلتزام الكامل غير المتزعزع. فالذي «ينظر إلى الوراء لا يصلح لملكوت الله». متى قرّرت اتباع يسوع لا تستطيع العودة بالزمن إلى الوراء لإعادة النظر بقرارك. إذا كان البيت والتقاليد والأحبّاء مهمين لدرجة تؤثر على طاعتك للرب، ارجع إليهم، فأنت لست مستعداً بعد لإتباع يسوع. ومتى أصبحت مستعداً ارجع إليه فيستقبلك كما استقبل الإبن الشاطر. لن يُمسك الرب عليك هذا التردّد، فهو محب، ومحبته لا عمق لها. المهم أن تعود قبل أن تفاجئك النهاية.

إذاً هناك فرق بين مَن يتبعون الرب والمؤمنين به. كلّهم يحبّهم الرب ويحبّونه ولكن الذين تركوا كل شيء وتبعوه كما يقول الرسول بطرس (لو ١٨: ٢٨) لهم مكانة خاصة لديه. فهل نحن مثل الغني المذكور في الإنجيل الذي مضى حزيناً لأنّه أحبّ ثروته أكثر من المسيح؟ الجواب هو في قلب كل واحد منا. القرار لدينا، فهل نحن جاهزون لننتقل من مرحلة معرفة أصول الإيمان إلى مرحلة الحياة بالإيمان بالرب يسوع أي مرحلة اتباع يسوع بكل ما للكلمة من معنى.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb